الفصل الخامس
الفرائـــــض

١ـ الصـــــلاة

مقدمة :

الصلاة عبادة بدنية ومناجاة روحية يتصل بها العبد بخالقه اتصالًا روحيًا لشكره على ما وهب وتفضل وليدلي له بما في نفسه من رجاء وخوف ، يتجه فيها إلى الله بقلبه ، وهو الله القوي الحنَّان المعطي ، المجيب المضطر إذا دعاه .

وللصلاة إذا أديت على وجهها الصحيح أثر خُلُقي بالغ في نفس المسلم ، فبدؤه الصلاة بتكبيرة الإحرام بقوله : «الله أكبر» إعلان بألوهية الله ووحدانيته في التصرف في شؤون خلقه ثم قراءته الفاتحة وتلاوة ما تيسر من القرآن ثم الركوع والوقوف ثم السجود والاعتدال مرتين وأثناء ذلك كله يسبح المصلي بحمد الله ويستغفره من ذنوبه وزلاته ، كل هذه الحركات بالجسم ، والأقوال باللسان ، تعين على حضور القلب والخشوع في حضرة الله .

والإنسان بفطرته متكبر مختال ، والكبر والخيلاء هما أساس كل الرذائل والنقائص ، ومن ثم فالصلاة تدرب المسلم على التواضع والخشوع ، إذ فيها يضع المسلم وجهه وهو أشرف جزء في الإنسان على الأرض شكرًا وخشوعًا وذلة لله العلي العظيم .

فالصلاة كما يقول القرآن الكريم : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

وقبل أن يقف المسلم بين يدي الله يجب أن يكون نظيفًا نظافة مادية وروحية فعليه أن يتوضأ ، وفي أثناء وضوئه وغسله وجهه ويديه ورجليه ومسحه برأسه يستغفر الله على ما ارتكبته يداه أو رجلاه ولسانه من عمل يغضب الله ، أو ما مر بذهنه من خواطر المعاصي والريب ، فيطهر بذلك قلبه ، ويقف بين يدي الله حاضر الذهن والقلب .

وقد فرضت الصلاة خمس مرات في اليوم ، في الصباح الباكر والظهر وفي العصر وبعد غروب الشمس وفي العشاء ، وتستغرق هذه الصلوات الخمس وقتًا يتراوح في مجموعه بين نصف الساعة والساعة ، من وقت المسلم كل يوم .

فهذا هذا وقت طويل يقضيه المسلم على خمس فترات في اليوم خاشعًا مستغفرًا شاكرًا ربه على نعمه وآلائه ؟

يقضي الإنسان ساعات طويلة في اليوم لتناول طعامه ، وساعات للنزهة وترويح النفس ، فهل نصف ساعة يصرفها العبد في غذائه الروحي يكرسه للوقف بين يدي خالقه يثقل كاهله ؟!

وقد يسَّر الله الصلاة على عباده كما يسر سائر الفرائض فالإسلام دين يسر وسماحة فقد سمح للمسافر بقصر الصلاة أي إنقاص الركعات الأربع إلى النصف ، ولا يقصر من الصلاة إلا الصلوات الرباعية فقط ، وأباح للمريض أن يصلي جالسًا أو مستلقيًا أو مومئًا ، كما أتاح في حالات معينة جمع صلاتي العصر مع الظهر ، والعشاء مع المغرب جمع تقديم أو تأخير .

وإذا خيف ضياع الوقت في غير حالة السفر فسمح أن يجمع بين الصلاتين جمع تقديم أو تأخير مع الإتمام ، وسمح في الوضوء أثناء النهار بالمسح على الجورب دون غسل القدمين إذا بدا التوضؤ في يومه بالوضوء الكامل بما في ذلك غسل القدمين .

ولو أن صلاة الجماعة مندوبة كلما اجتمع اثنان أو أكثر لما فيها من فضائل الاجتماع والتعارف والتواد والتكافل بين المسلمين ، فإن صلاة الجمعة لابد فيها من الجماعة ، ويؤم المسلمين أقدرهم وأعلمهم بشؤون الدين وأكثرهم قبولًا لدى المصلين إذ ليس في الإسلام كهنة أو قسيسون ، وفي صلاة الجماعة يقف المصلون خلف الإمام في صفوف متراصة مستقيمة لا عوج فيها ، يركعون ويسجدون تبعًا للإمام في وحدة ونظام .

وفي الصلوات الجامعة ليس هناك مكان ممتاز لحاكم أو أمير أو غني ، بل يقف الجميع في مساواة تامة وإخاء لا فرق بينهم .

ويتجه المسلمون في صلواتهم الخمس نحو الكعبة المكرمة وهي قاعدة الإسلام ، يتجه إليها المسلمون شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا يحيطون بها في كل صلاة في دوائر : مركزها الكعبة ، وتتسع هذه الدوائر من بيت الله الحرام كلما ابتعدنا عنه ، يقف فيها ملايين المسلمين على اختلاف جنسياتهم وألوانهم خمس مرات في النهار يكبرون ويسبحون ويعبدون الله الواحد القهار الرحمن الرحيم .

فالصلاة إذن ليست عبادة دينية روحية فحسب بل هي سبب للتهذيب والتدريب على النظام والوقار وتوحيد كلمة المسلمين في مختلف بقاع العالم وجمعهم خمس مرات في اليوم مهما بعدت بهم الشقة حول الكعبة في بيت الله الحرام .

الصلاة في النصوص القرآنية :

إذا سهوت أو تكاسلت عن أداء فرض الصلاة فاذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٤، ٥] .

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾ [البقرة:٤٥] .

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣] (١) .

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:١١٠] .

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٨، ٧٩] (٢) .

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢] .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩] .

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤، ١٥] .

ومن صفات المؤمنين أنهم :

﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٢٣] .

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:٩] .

---

(١) موقوتًا : محدودًا بوقت .

(٢) من دلوك الشمس إلى غسق الليل : أي من الظهر إلى بعد مغيب الشمس أي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، قرآن الفجر : أي صلاة الصبح .

الصلاة في الحديث النبوي :

وتدب قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«**إذا ثوِّب بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء**» (١) .

«**ساعتان لا ترد على داع دعوته : حين تقام الصلاة ، وفي الصف في سبيل الله**» (٢) ، واعلم أن الصلاة تغسل الذنوب .

«**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ؟ هل يبقى من درنه شيء ؟**» ، قالوا : لا ، قال : «**كذلك مثل الصلوات يمحو الله بهن الخطايا**» (٣) .

ولا تنس أن الرسول عليه الصلاة والسلام قدم الصلاة على غيرها من الفروض فقال : «**أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، يُنظر في صلاته فإن صلحت فقد أفلح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر**» (٤) .

«**لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد**» (٥) .

وسئل النبي عليه الصلاة والسلام : أي العمل أحب إلى الله ؟ فقال : «**الصلاة على وقتها**» ، قال : ثم أي ؟ قال : «**بر الوالدين**» ، قال : ثم أي ؟ قال : «**الجهاد في سبيل الله**» (٦) .

وخطب رسول الله ﷺ الناس في حجة الوداع فقال : «**اتقوا الله وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا إذا أمرتم ، تدخلوا جنة ربكم**» (٧) .

«**مفتاح الجنة الصلاة**» (٨) .

«**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر**» (٩) .

---

(١) أحمد عن جابر .
(٢) الحاكم عن سهل بن سعد ، في الصف : أي ترتيب الصفوف للجهاد .
(٣) الخمسة عن أبي هريرة ، الدرن : الوسخ .
(٤) الطبراني عن أنس .
(٥) الطبراني عن ابن عمر .
(٦) البخاري ومسلم عن ابن مسعود .
(٧) الترمذي والحاكم عن أبي أمامة .
(٨) أحمد عن جابر بن عبد الله .
(٩) مسلم وأحمد عن أبي هريرة .

«من حافظ على الصلاة كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وأُبَيِّ بن خلف» (١) .

كان رسول الله إذا حزبه أمر صلى (٢) .

«الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر» (٣) .

٢ـ الزكـــاة

مقدمة :

إذا كانت الصلاة عبادة بدنية روحية ، فالزكاة عبادة مالية ، وسميت زكاة لأنها تزكي النفس وتزكي المال الذي يخرج منه الزكاة .

وسترى من قراءة النصوص القرآنية التي سنوردها فيما بعد أنه كلما ذكرت الصلاة في القرآن الكريم اقترنت الزكاة بها مما يدل على أنها تليها في الأهمية .

والصدقة تحض عليها جميع الأديان السماوية ، لكن الإسلام يمتاز عليها بأن نظمها وأوجب أداءها سنويًا بنسبة ثابتة من المال وجعلها أساسًا من أسس الإيمان وإحدى الفرائض الأربع التي هي ركن من أركانه ، وإذا كانت الصلاة هي تعبير روح شكر العبد لخالقه ، فالزكاة تعبير عملي مادي لهذا الشكر ، وأداء لواجب الإنسان نحو أخيه الإنسان ، ووسيلة لإشاعة التعاون والمحبة بين أفراد المجتمع .

وهي فريضة على الأغنياء تؤخذ منهم لترد على الفقراء وعلى المنافع العامة ، والحد الأدنى المعفي من الزكاة هو ما يقل عن ٨٣ جرامًا من الذهب ، أو مائتي درهم من الفضة بنسبة ٥ , ٢٪ ، مما يملكه من نقد وعروض للتجارة .

ومن الأوجه العامة لصرف أموال الزكاة عدا صرفها للفقراء والعاملين عليها وابن السبيل صرفها في سبيل الله ، والصرف في سبيل الله يشمل أوسع المعاني كالدعوة إلى الله ودينه الحنيف ، وفتح المدارس والمستشفيات وإدارتها ، وإقامة أعمال الري

(١) أحمد والطبراني وابن حبان عن عبد الله بن عمر .

(٢) أحمد وأبو داود عن حذيفة .

(٣) الطبراني عن أبي هريرة .

والصرف وإنشاء الحصون وتجهيز الجيوش والمحافظة على الأمن الداخلي والخارجي وإصلاح الأراضي وإنشاء المصانع . ... إلخ .

وهناك مصرف آخر هام للزكاة ورد ذكره في القرآن الشريف وهو صرف الزكة «في الرقاب» أي على تحرير الرقيق عندما كان شائعًا في العالم وقت ظهور الإسلام وجدير بالذكر أن الإسلام لم يترك مناسبة إلا انتهزها للحض على تحرير الرقيق ، فأمر بالعتق ككفارة لبعض الذنوب ، وذهب إلى الأمر بإنفاق جزء من مال الدولة لتحريرهم ، أما وقد اندثر رقيق الأفراد في هذا العصر فلا زال رقيق الأمم عن طريق الاستعمار باقيًا ، وأرى أن الصرف على تحرير الأمم من ربقة الاستعمار وذله واستثماره للشعوب هو مصرف شرعي يأمر الإسلام بصرفه من الخزانة العامة .

الزكاة في النصوص القرآنية :

إذا أمسكت عن إخراج الزكاة من مالك ، فاعلم أنك أهملت ركنًا هامًا من أركان دينك ، وفرضًا لا قِبَل لمن وجب عليه أن يهمله ، اقرأ وتدبر قوله تعالى :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١٠٣، ١٠٤] (١) .

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم:٣٩] (٢) .

ويقرن القرآن الكريم الزكاة في أكثر المواضع بالصلاة : ذلك أن الصلاة تزكي النفس ، والزكاة تزكي المال والنفس :

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل:٢٠] .

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:١١٠] .

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون:٤] .

---

(١) سكن لهم : تسكن إليها النفوس .

(٢) المضعفون : الذين لهم أضعاف مضاعفة من الثواب .

ويعدد الله تعالى أنواع البر التي يحب الله أن يؤديها العبد فيقول تعالى :

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠] (١) .

في أدائها بر كالإيمان بالله تعالى وبكتبه ورسله :

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧] (٢) .

الزكاة في الحديث النبوي :

سأل رجل النبي عليه الصلاة والسلام عما يدخل الجنة .

فقال : «**تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم**» (٣) .

وأوصى النبي عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل ﷺ لما أوفده إلى اليمن ، فقال :

«**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعملهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة من أموالهم : تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم**» (٤) .

---

(١) **المؤلفة قلوبهم** : هم من اعتنقوا الإسلام ، **وفي الرقاب** : تحرير الرقيق ، **الغارمين** : هم المدينون غير القادرين على أداء دينهم .

(٢) **البأساء** : شدة الفقر ، **الضراء** : المرض ، **حين البأس** : وقت شدة القتال .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي أيوب .

(٤) الستة عن ابن عباس .

٣ـ الصـــوم

مقدمة:

الصوم هو الركن الثالث للإسلام فُرض للامتثال لطاعة الله وللتهذيب والتأديب والسمو الأخلاقي، وهو يقع في الشهر التاسع من السنة الهجرية(شهر رمضان)، وهو الشهر الذي أُنزل فيه القرآن هدىً للناس ورحمة، ومدته شهر ينقطع الصائم فيه عن الشرب والأكل والتمتع بمختلف اللذات الجسدية من الفجر إلى المغرب.

ولما كانت السنة الهجرية تحسب طبقًا لدورة القمر، فإن شهر الصيام يقع على مر السنين في مختلف فصول السنة فيتعرض الصائم للجوع والعطش في حر الصيف وبرودة الشتاء، وفي هذا تقويم للخلق وتقوية للنفس والجسم على تحمل المشاق وعلى الصبر وهو أساس كل فضيلة.

وهو فرض على البالغ القادر لتربية النفس وكبح جماح الشهوات واللذات، ولا يكفي أن يمتنع الصائم عن المأكل والشراب، بل يتعين عليه أن يكف يده ولسانه وتفكيره عن كل سوء ورذيلة.

ويباح الإفطار للمريض والضعيف ومن هم على سفر، بشرط أن يقضوا صيام الأيام التي أفطروها عندما تزول الأسباب التي أدت إلى الإفطار، أما المرضى والضعفاء العاجزون عن الصيام في رمضان وفي غيره لسبب أو آخر فيباح لهم الإفطار، بشرط إطعام مسكين عن كل يوم من أيام رمضان.

إن تحمل العطش والجوع والإمساك عن مختلف اللذات والكف عن الرذيلة واللغو ومنكر القول لمدة شهر كامل فيه رياضة روحية وتأديبية سامية.

ولا شيء أقوى وأفعل في كبح جماح النفس البشرية والسمو بها إلى أعلى الدرجات من الجوع والعطش والامتناع عن اللذات وكف اللسان عن اللغو وباطل الحديث، وهو ما يأمر به الإسلام كل صائم.

وفي كلمة موجزة: يعلم الصيام الامتثال لأوامر الله وشكر نعمه والتحكم في الغريزة البشرية والصبر والرجولة والعطف على الفقراء وما إلى ذلك من الفضائل السامية التي هي أساس كل نجاح وسعادة.

الصوم في النصوص القرآنية :

إذا أهملت صوم شهر رمضان ، فاعلم أنك تهمل ركنًا من أركان الدين ، وفرضًا يتعين على كل مسلم قادر أداؤه ، واقرأ وتدبر قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾

[البقرة:١٨٣ـ ١٨٥] (١) .

الصوم في الحديث النبوي :

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

الصيام كفارة للذنوب يستجيب الله فيه للصائم .

«إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة» (٢) .

«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» (٣) .

والصيام عبادة وتهذيب وتأديب :

يقول الله تعالى في الحديث القدسي :

«كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جُنَّة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، وإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم» (٤) .

«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (٥) .

---

(١) **يطيقونه** : يتحملونه بمشقة .

(٢) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٣) أحمد عن أبي هريرة .

(٤) البخاري عن أبي هريرة ، جُنَّة : وقاية .

(٥) البخاري عن أبي هريرة .

٤ـ الحـــج

مقدمة:

الحج أحد أركان الإسلام الخمسة وهو يقع في الشهور الأخيرة «شوال، وذي القعدة، عشرة أيام من ذي الحجة»، من السنة الهجرية، وهو فرض يُشيع بين المسلمين الأخوة الإسلامية رغم اختلاف ألوانهم وجنسياتهم.

وإذا كانت صلاة الجماعة في صلاة الجمعة قد شرعت ليجتمع أهل القرية أو أهل المدينة في صلاة أسبوعية جامعة في طاعة الله، يتعرفون شؤونهم وأحوالهم ويمدون يد المساعدة بعضهم لبعض فقد شرع الله الحج ليجتمع المسلمون على نطاق أوسع اجتماعًا إسلاميًا دوليًا يضم المسلمين من بقاع الأرض، وهو فرض يتيح لهم أن يتدارسوا شؤونهم الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ويوثقوا عرى الأخوة الإسلامية بين أممهم، وهذه هي منافع الحج التي يشير إليها الله تعالى بقوله:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج:٢٧، ٢٨][1].

والحج فريضة على كل مسلم بالغ قادر يمتلك ما يكفيه لنفقة عياله وسفره للحج، وينبغي للحاج أن يعد نفسه لهذه الرحلة الروحانية، فينسى ولده وماله ويتجه بكل قلبه إلى خالقه، وإذا جاء موعد الحج فعليه أن يحرم بأن يغتسل أولًا، ثم يغطي جسده بقطعتين من قماش غير مخيط، ثم ينوي الحج.

ومن هذا الوقت عليه أن يمتثل لأمر الله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧].

ولمناسك الحج معان روحية رفيعة سامية يجب ألا ينشغل الحجاج عنها بالأعمال المادية لهذه المناسك.

فغسل الإحرام هو بمثابة تطهير الإنسان نفسه من الآثام والرذائل، وليس قطعتي القماش غير المخيطتين تذكير بالموت ورمز لتجويد الإنسان عن الدنيا ومغرياتها

---

(١) ضامر: الجمال الضامرة الهزيلة من طول السير.

ومساواته مع غيره من المخلوقات ، فلباس الإحرام واحد للغني والفقير والأمير والحقير لا يمتاز واحد منهم عن الآخر في شيء ، فالحجاج ضيوف الله وكلهم متساوون ، لا يجوز أن يمتاز واحد عن آخر بملبس أو مظهر .

والطواف سبع مرات حول الكعبة المشرفة إن هو إلا طواف الروح والقلب حول قدسية الله وعظمته ، وإشعار بتعلقها بالذات الإلهية .

والسعي بين الصفا والمروة إنما هو التردد في ساحة الله الكريم أملًا في القبول والمغفرة ورمي الجمار خلال الأيام الثلاثة التالية ليوم النحر إنما هو معاهدة العبد لخالقه على نبذ الشيطان ومغرياته ، والاعتزام على مقاومة النفس الأمارة بالسوء .

والدرجة الرفيعة في مناسك الحج التي لا يتم إلا بها ، هي الوقوف بعرفة في تاسع يوم من ذي الحجة ، وفي هذا اليوم يقف مئات الآلاف من المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم برءوسهم الحاسرة وثيابهم البيضاء في صعيد واحد ومساواة تامة ، رافعين أكفَّ الضراعة للعلي القدير أن يقبل توبتهم ويغفر لهم ويهديهم سواء السبيل ، في هذه الساعات القليلة النادرة التي تسمو فيها الروح إلى أعلى عليين وتتفتح فيها أبواب السماء يناجي الحجاج ربهم ، كل بما في نفسه من رجاء ودعاء مُنادين : «لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك له لبيك . . .» .

منظر رائع للامتثال لإرادة الله وللرجاء في عفوه ومغفرته .

الحج في النصوص القرآنية :

إذا سنحت لك فرصة الحج لبيت الله الحرام ، وأنت قادر على أدائه ، فاغتنمها ولا تفرط فيها ، وتدبر قوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٦، ٩٧] (١) .

والحج فيه تثبيت للإيمان وتهذيب للأخلاق وتعويد للنفس على الأدب والأخلاق السامية .

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة:١٩٧] (٢) .

(١) بكة : مكة «الجزء الذي تقع فيه الكعبة» .

(٢) الرفث : مباشرة النساء أو فحش الكلام ، الفسوق : الخروج عن حدود الشريعة أو الشباب .

وفي الحج منافع كثيرة للناس تعود عليهم كأفراد وجماعات :

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج:٢٧، ٣٠] (١) .

الحج في الحديث النبوي :

وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«**من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» (٢) .

والحج جهاد بالنفس والمال :

«**حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها ، الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**» (٣) .

وقد سئل مرة : أي العمل أفضل ؟

فقال : «**إيمان بالله ورسوله ، ثم الجهاد في سبيل الله ، ثم حج مبرور**» (٤) .

والحاج في ضيافة الله ، يكرمه ويغفر له ويستجيب لدعائه :

«**الحجاج والعمار وفد الله ﷻ : إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم**» (٥) .

والحج إحدى الفرائض الخمس التي قام عليها الإسلام :

«**بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا**» (٦) .

---

(١) أذن : أعلم الناس ، رجالاً : مشاة ، الضامر : البعير الهزيلة من السفر ، الفج العميق : الطريق المحصور بين جبلين ، يقضوا تفثهم : يزيلوا أوساخهم .

(٢) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٤) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٥) النسائي وابن ماجه عن أبي هريرة ، العمار : زوار بيت الله الحرام يفدون لأداء العمرة .

(٦) البخاري ومسلم عن ابن عمر .